عمار بلخوجة والتأريخ لقضية حمداني عدة

قراءة في مؤلف " قضية حمداني عدة 1926 ـ 1962"

برحو بوسيف/ طالب دكتوراه،جامعة تيارت

مقدمة

عمار بلخوجة، واحد من أبناء هذا الوطن، وابن مدينة تيارت الذي رفع شعار الدفاع عن تاريخ المنطقة والذود عنه، وذلك بإخراجه الى النور، ونفض الغبار عن كثير من الأحداث المهمة التي حدثت في هاته المنطقة من الجزائر فخط بقلمه زهاء الثلاثين مؤلَّفا، حاول من خلالها التعريف بالشخصيات التي لعبت أدوار جليلة في معركة الشرف – معركة تحرير البلاد و العباد – من قهر المحتل الذي استباح الأرض و انتهك العرض، ومن بين هؤلاء الشرفاء الأفذاذ ، الشهيد البطل (**حمداني عدة**) الذي سنحاول التعرف عليه من خلال كتاب عمار بلخوجة الذي اختار له عنوانا هو: (قضية حمداني عدة 1926 – 1962) .

هذا المؤلف صدر عن دار النشر:مخلوفي، عدد صفحاته 166، مقسمة على أربعة فصول مدعمة بمجموعة كبيرة من الملاحق (66 صفحة)، عبارة عن مراسلات مختلفة، ومقالات صحفية صدرت في جرائد ويوميات تلك الحقبة الزمنية، وقبل التطرق لما جاء في الكتاب أورد تعريفا موجزا للمؤلف عمار بلخوجة، وضعه هو المصدر نفسه على غلاف الكتاب:

عمار بلخوجة ولد يوم 16-11-1941 بفرندة،عمل صحفيا بجريدة المجاهد اليومية، عصامي التكوينتخصص في البحث التاريخي، وكانت غايته من ذلك، مسح الغبار عن الأحداث

المهددة بالنسيان، ويؤمن عمار بلخوجة أن معرفة الماضي، هي همزة وصل بين الأجيال، تجاهلها يشجع ظاهرة القطيعة،هذه القطيعة التي تؤدي بدورها إلتفتت الشخصية الفردية و الجماعية .

نظرة على محتوى الكتاب :

يقدم المؤلف لكتابه بالقول بأن التطرق إلى مسار مجاهدي الحرية، هو بمثابة فتح إحدى أنبل الصفحات الكثيرة عن ثورة التحرير الوطني، والتي من أجلها قدم حمداني عدة حياتهفي ظروف مأساوية، في جانفي 1962،حين تقدم أعضاء من المنظمة السرية (OAS) إلى سجن وهران، مستفيدين من تواطؤ شركاء لهممن داخل السجن وقاموا باختطاف حمداني عدة رفقة ثلاثة مساجينآخرين،ليتم بعد ذلك إحراقهم أحياء بدون شفقة، ولارحمة، وهذا غيض من فيض، من جرائم المحتل الغاشم الذي جاء إلى الجزائر حسب زعمه لينقل إلى أبنائها الحضارة والتحضر.

أما في المقدمة: نجد الكاتب يضع مقارنة بين السكان الجزائريين، والأوروبين المقيمين في الجزائر سنة 1954 معتمدا على عدة إحصائيات: ديمغرافية، اجتماعية، اقتصادية، أوردتها جرائد المحتل ومن بينها: (عدد السكان الرعاية الصحية، التعليم، التعليم العالي، الفلاحة، الدخل الفردي، التشغيل ...الخ) ليخلص إلى مفارقة كبيرة بين الأرقام، فمثلا على مستوى الإحصائيات الديمغرافية نجد أن (عدد الجزائريين 9.5 مليون،بينما عدد الأوروبين 1.02 مليون)[1]، ورغم هذا التباين الكبير بين الرقمين إلا أن هناك تفرقة جلية في الاستفادة من المزايا (الاجتماعية الاقتصادية ، التعليمية ...الخ) وبالطبع لصالح الأقلية الدخيلة .

وكما هو متوقع يقوم الكاتب بنقل هذه المقارنةإلى مدينة تيارت،باعتبار الكتاب في الأصل يتحدث عن تاريخ هذه المدينة وضواحيها، وبنفس طريقة المقارنةليخلص إلى نفس النتيجة وهي اللاعدل،والظلم، والتمييز في التعامل بين المعمر، وصاحب الأرض، هذه المعاملة

التي جعلت هذا الأخير يعاني مشقة حقيقية حتى للحصول على قوت يومه الذي هو ببساطة " الخبز".

ويضرب الكاتب مثالا استنادا على مراسلة لحاكم إقليم (مقاطعة) وهران إلى الإقليم الفرعي تيارت حول أجرة العمال الموسميين لجني العنب في عين تموشنت (525 فرنك + نصيب من الخبز)[2] .

وفي جانب آخر، وما تعلق باندلا ع ثورة الفاتح من نوفمبر،يورد المؤلفبعض المراسلات التي جرت بين حاكم وهران، وحاكم إقليم تيارت حول عزمه على القضاء على من سماهم بالإرهابين – يقصد المجاهدين–من خلال إرسال وحدات قتال خاصة، ويدعوه إلى تسهيل مأموريتهم، ومدهم بكل ما يحتاجونه.

كما يذكر الكاتب المقالات الصحفية التي تناولت حدث انطلاق الثورة التحريرية المجيدة، ويخبرنا أن هذه الصحف كانت تقف منذ البداية موقفا عدائيا من الثورة، وكانت تهدف إلى القضاء عليها في مهدها، ومن بين ماكانت تنصح به هذه الصحف، هو تأخير الإصلاحات في مختلف المقاطعات التي ينشط بها المجاهدون –الإرهابيون على حد زعمهم – .

بالإضافة إلى ذلكفقد تبنت مختلف السلطات العسكرية، والمدنية، في تيارت، إجراءات تهدف في مجملها إلى قمع الثورة، ومن أهمها تكثيف تواجد الوحدات العسكريةالخاصة في المنطقة .

ثم يتطرق المؤلف إلى مسألة قمع النشاط السياسي الجزائري، وذلك من خلال حل حزبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD)، والحزب الشيوعي الجزائري(PCA)، بينما واصلالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) نشاطه في تيارت، حيثعقد أعضاء فرع تيارت يوم 26-12-1954[3] اجتماعا، وأصدروا بيانا للتنديد بالقمع الأعمى، والتوقيف العشوائي،

والجماعي، وبعد ذلك يتطرق الكاتب إلى بعض الأحداث على الجانب السياسي للحزب منذ 1954 .

الفصل الاول: القطاع الذاتي لتيارت

يتطرق المؤلف في هذا الفصل للتعريف بالشهيد حمداني عدة، حيث يخبرنا أنه ولد يوم 26 أفريل 1926 في تيارت، في عائلة من خمسة أبناء، كان هو الذكر الوحيد بينهم، حصل على شهادة الدراسات الابتدائية (élémenaire) في سنة 1942، وتعلم العربية في " الكُتّاب "، التحق بفريق شبيبة تيارت، مارس رياضة الجمباز وركوب الدراجات، كما كان يساعد والده في أعمال المطحنة .[4]

تزوج يوم 9 جانفي 1949 من السيدة (بلجرود زوبيدة)، وأنجب منها: نضيرة، مصطفى، مليكة، فاطمة الزهرة، مياسة.[5]توفي والده في سنة 1955، ليتحمل هو وحده مسؤولية كفالة عائلته، ورغم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه كان نداء الوطن يسيطر على وجدان عدة، ولذلك نجده لا يتردد في تقديم واجب الوطنعلى واجبه اتجاه عائلته، (وفي هذه النقطة الكاتب يفصل كثيرا).

التحق عدة بالجبال – الثورة التحريرية – في جويلية 1957، وقد كان أول المتصلين به: السيد بلعيد أحمد مناضل في (PCA وMTLD)،وذلك من أجل تكوين خليةFLNبتيارت.[6] وكانت أولى العمليات الفدائية المنفذة بتيارت، هي حرق قاطرتين في محطة المدينةيوم 21 أوت 1955. ثم يسرد الكاتب أهم الأحداث التي وقعت سنة 1956 في المدينة، وفي الجبال،باعتبارها السنة التي شهدت أكثر العملياتأهمية في المنطقة. ومن بينها العملية التي قام بها

المجاهد بلخوجة أحمد المتمثلة في إلقاء قنبلة يدوية على أحد الحانات الموجود بشارع (Combon)، بتاريخ 18 نوفمبر 1956 تسببت في إصابة ستة أفراد من مرتادي الحانة .[7]

ثم يخبرنا بأن منطقة تيارت كان بها 3 شبكات للـ FLN[8]، لم يكن بينها أي علاقة، كل واحدة تنشط ذاتيا وهذه المعلومة مهمة للغاية، حيث تطلعنا على جانب معقد، من طريقة عمل جبهة التحرير الوطني إبان الثورة التحريرية،كما يطلعنا على أهم الأحداث والعمليات الفدائية التي وقعت سنة1957، والتي تمثلت في الاغتيالات التي تقع بين الفينة وا لأخرى،كذا تفجير أملاك المعمرين.

وفي هذا الإطار يطلعنا الكاتب على قصة الطفلين بوشعيب (بوشايب)، وحشاشي،اللذين قاما بعملية فدائية ذاتية ضد صاحب مقهى (La Bourse)[9]، هذه العملية النابعة من إحساسهم بالقهر، والذل ، ورغم أن القصة ليس لها أي علاقة بالشهيد حمداني عدة إلا أن الكاتب يسردها بالتفصيل .

ومن بين الأحداث المهمة أيضا التي وقعت في هذه السنة:

- إضراب التجار،ومحاولة العسكر، والشرطة قمع وإفشال الإضراب.

- أفريل 1957 تكليف حمداني عدة بالتنظيم السياسي، والاداري لمنطقة تيارت .[10]

- جويلية 1957التحاق حمداني عدة بالجبل هو، وزميله بو عبد الله ويورد لنا الكاتب السبب الذي ربما عجل بهذا القرار ذلك أنه، وفي التاريخ المذكور آنفا، قامت سلطات المحتل بإيقاف مئات المواطنين، من بينهم عدة ورفاقه وتجميعهم في الملعب البلدي، ليطلق سراحهم بعد ذلك، وفي طريق العودة، وقبيل وصول عدة الى بيته لاحظ سيارة غريبة تتوقف بالقرب، وعندما تيقن من أنهم عناصر الشرطة القضائية، اتخذ قراره الذي لم يكن منه بد، وهو الالتحاق بالجبل .[11]

وبعدها أصبح حمداني عدة يعرف باسم بـ" سي عثمان "، وزميله بوعبدالله بـ" سي بوزيد "ثم يذكر الكاتب بعض الأحداث المتفرقة منها الهجوم على مقهى، اغتيالات، و ابتداء من سنة 1958 حمداني يترقى إلى رتبة مساعد (ADJUDANT)، وفي سنة 1959، يترقى إلى رتبة مرشح (ASPIRANT)، مكلف بالمعلومات والاتصالات، ثم رئيس منطقة، الى غاية يوم توقيفه فيالرابع من ديسمبر 1959. [12]

ثم يتطرق الكاتب إلى دور النساء في الثورة،ويقدم أمثلة من منطقة تيارت، كما يعرض علاقة حمداني عدة بشبكة النساء، وإعجابه بدورهن، وشجاعتهن، كذا لجوء المحتلإلى وسائل التعذيب بكل طرقها، بغرض الانتقام والقضاء على الثورة، وعزيمة المناضلين في صفوف جبهة التحرير الوطني .[13]

الكاتب يصف مدينة تيارت وخصوصياتها،ومنها السلالم، التي صعبت على المحتل عملية حصار الأحياء[14] وبخصوص ساحةCARNOTالمقابلة للبريد المركزي، كيف أنها كانت ساحة للهو،والموسيقى ثمأصبحت ميدانا للاغتيالات،ومن أشهرها اغتيال الشهيد علي معاشي، ورفاقه في هذه الساحة بالذات[15]،كما أنها غدت معرضا لجثث المغتالين (الكاتب يسرد عدة امثلة).

وعن بطش المحتل بكل من يقف مع الثورة من قريب، أو من بعيد، يروي لنا الكاتب حادثة اغتيال الجنود الفرنسيين لزوجين من الأوروبين، مزرعتهم كانت ملجأونقطة عبور لجيش التحرير، ثم يعرج على الاغتيالات التي قام بها المعمرون المصدر نفسهم ضد الجزائريين خاصة الفلاحين، دون حساب، ولا عقاب، فدم الجزائري ليس له أي ديّة في قانون المحتل، ويعطينا الكاتب عدة أمثلة. (تفاصيل المساعدات – تفاصيل الاغتيالات) .

ثم يخبرنا عن العمليات الفدائية، التي قام بها عناصر حمداني عدة :(عمراني بن عودة ، بن مستورة العربي معروف) ومنها عملية استرجاع القنابل التي كانت تلقيها طائرات المستعمر، والتي

لم تنفجر، وذلك لإعادة استعمالهاوبسبب الضغط الكبير التي كانت تسببه هذه العمليات على المحتل، وبعد سلسلة التفجيرات المستمرة، لم يجد المحتل بدّا من اللجوء الى الأساليب القذرة، واللاأخلاقية، وذلك للضغط على المجاهدين البواسل، حتى يثنيهم عن عزمهم ومن ذلك إلقاء القبض على والدة، وزوجة حمداني عدة،وتعريضهمالعملية استنطاق طويلة باءت كلها بالفشل . فحمداني عدة كان دائما يضع واجب الوطن فوق واجب العائلة .[16]

الفصل الثاني: في المغارة

- التحاق حمداني عدة (سي عثمان و رفيقه سي بوزيد) بالمغارة يوم 3 ديسمبر 1959، تقع قرب ديدرو (وادليلي حاليا) .[17]
- رفاق حمداني عدة في المغارة هم،ثمان مجاهدين (الكاتب يعرف بهم) .
- الكاتب يعطينا وصف للمغارة التي يختبئ بها حمداني، ورفاقه .
- جنود المحتل يكتشفون المغارة، ويحاولون اقتحامها ثم يقومون بمحاصرتها .
- بدء مفاوضات بين حمداني والعسكر (الكاتب يفصل في الأمر) عن طريق وسيط (فلاح من المنطقة).
- تعهد كتابي من الكلونيلRECOLLE بموجبه يعتبر حمداني، ورفاقه جنودا في حالة الاستسلام .[18]
- حمداني يتخذ قرارا بالاستسلام حفاظا على حياة رفاقه، وخاصة الجرحى .[19]

الفصل الثالث: الدعوة القضائية

- حمداني عدة يوصى رفاقه بأن يحملوه كل المسؤولية عن الاحداث السابقة .[20]

- تعرض حمداني، ورفاقه لكل أشكال التعذيب، والإهانة أثناء حبسه في تيارت، ثم في فيلا بجوار جسر طريق (Trezel)، السوقر حاليا .[21]
- إجراء المحاكمة في وهران.
- فشل محاولة حمداني عدة في استعمال أحد الحركى المكلفين بحراسته لمساعدته في الهروب،وذلك في طريق العودة من وهران إلى تيارت .
- تكاثف جهود المحامين للدفاع عن رفاق حمداني، على رأسهم المحامي (محمد رحال).[22]
- استغلال التعهد الكتابي لـ RECOLLE، للدفاع عن حمداني و رفاقه .
- يتطرق الكاتب إلى جهود المحامين (جزائريين، وفرنسيين)، للدفاع عن القضية الجزائرية بصفة عامة على رأسهم المحامي الشهير JACQUES VARGES،و آخرون يذكرهم بالتفصيل .[23]
- الحكم على حمداني بالإعدام.
- ظهور وتنامي اليمين التطرف والمنادي بفكرة(بالجزائرفرنسية).

الفصل الرابع: سجن وهران

- حمداني يحوّل إلى سجن وهران .[24]
- التأكيد على حكم الإعدام، تضامن المساجين مع المحكوم عليهم بالاعدام،وتحوّل التضامن إلى حركة احتجاجية .[25]
- وصف الكاتب للوضعية المزرية للسجن:(اكتظاظ، غياب النظافة، المعاملة السيئة،الرقابة على الرسائل.....الخ).
- زيارة فرقة من الدرك الفرنسي للسجن (أعضاء OAS،متنكرون في الزي الرسمي للدرك) .

- 12 جانفي 1962، استدعاء حمداني وثلاث مساجين، واختفاء المساجين الأربعة منذ ذلك الحين . وبعد أيام قليلة فقط، تم العثور على جثث محروقة،وتعاظم الشكوك حول كونها للمساجين المختطفين، وفي هذه الأثناء أحد الجنرالات الإنقلابين يتبنى عملية اغتيال المساجين.

الخاتمة

من خلال ما قرأناه عن الشهيد البطل حمداني عدة، أو سي عثمان، يبدو أن هذا الرجل كان من الرجال القليلين الذين لا تتغير مواقفهم مهما ارتفع سقف التضحية، لا يتغيرون بتغير الأحوال، يرسمون بوجدانهم قضية يحيون لأجلها ويموتون لأجلها. أمثال حمداني عدة خلقوا إما للنصر أو للقبر، ولم يخلقوا أبدا ليقبلوا بعيش الذل و الهوان، لا يؤمنون بقلة الحيلة، ولا ضعف الوسيلة، سلاحهم هو إيمانهم بعدالة قضيتهم التي لا تقبل المساومات و لا تقر بالتنازلات. كان سي عثمان بطلا حقيقيا، نذر حياته للدفاع عن وطنه، وكان دائما يقدم واجب الوطن على واجب العائلة، والأهل، وكان مستعدا أن يضحي بالنفس، والنفيس، في مقابل قضيته الأولى التي هي الوطن، يظهر ذلك من خلال الاطلاع على تاريخ الرجل المضيء، ومن خلال قراءة رسائله التي كتبها إلى أهله، ومعارفه، والتي كانت تعبر دائما عن ارتياح نفسي كبير، وعن معنويات عالية، لا ينزل سقفها أبدا، نابعة من الإيمان الكبير الذي يتحلى به هذا الشهيد البطل. وفيما يتعلق الملاحق المدعم بها الكتاب فهي عبارة عن مراسلات مختلفة،مقالات صحفية حول القضية.

–هوامش الدراسة:

1- Amar Belkhodja . l'AFFAIRE HAMDANI ADDA (1926-1962),Tiaret: Editions Mekhloufi .p7.
2– Ibid. p9.

3– Ibid.p12.
4– Ibid.p14.
5– Ibid.p14.
6– Ibid.p14.p15.
7– Ibid.p18.
8– Ibid.p17.
9– Ibid.p19.
10– Ibid.p23.
11– Ibid.p23.
12– Ibid.p24.
13– Ibid.p24.p26.
14– Ibid.p31.
15– Ibid.p39.
16– Ibid.p50.
17– Ibid.p57.
18– Ibid.p62.
19– Ibid.p62.
20– Ibid.p68.
21– Ibid.p68.
22– Ibid.p74.
23– Ibid.p77.
24– Ibid.p84.
25– Ibid.p84.
26– Ibid.p 86.